

مقاصد العدول الصرفي في سورة البقرة

د. حشلافني لخضر جامعة الحلفة، الجزائر

أ. الودود، جامعــــــــة الحلفة، الجزائر

ملخص

العدول الصرفي ظاهرة أسلوبية مميزة في القرآن الكريم، وقد حظي باهتمام الدارسين من أجل الوقوف على مقاصد التحولات من وراء العدول عن صيغة إلى صيغة أخرى.

يتعلق المفهوم اللغوي للعدول في المعاجم العربية بمعنى الميل والانحراف، أما اصطلاحاً فهو الخروج عن المستوى القواعدي إلى المستوى الفني بوعي صاحبه لغاية فنية، وقد أصبح العدول أهم مباحث علم الأسلوب.

تناول العلماء المسلمون القدامى العدول بعدة تسميات نظراً لتعدد مجالات التصنيف كالعدول، والالتفات، والانزياح، والخروج عن سنن اللغة، والمجاز، أما الدراسات الحديثة فعبرت عن العدول بمصطلحات عديدة منها الانحراف، والانزياح، والاختلال، والانتهاك، والتجاوز، والمخالفة، والحن، وخرق السنن، والشناعة، والإطاحة، والتحريف نظراً لتأثر المحدثين بالدراسات الغربية المختلفة، واختلاف الترجمة.

للعدول مستويات كثيرة منها الصوتي، والمعجمي، والتركيب، ومنها الصرفي الذي اقتصت به هذه الدراسة تطبيقاً على سورة البقرة للتعرف على مقاصده، وغاياته.

Résumé

La déviance morphologique est un phénomène stylistique spécial dans le Saint Coran qui a drainé l'attention des chercheurs afin d'observer et de déceler les finalités de la transformation d'une forme vers une autre.

La déviance signifie linguistiquement dans les dictionnaires arabes «la propension», la déviation, la sortie et la neutralité.

Terminologiquement, elle est la sortie du niveau grammatical vers le niveau stylistique intentionnellement dans un but esthétique, et dans les limites de la langue. Elle devient non seulement l'un des objets de la stylistique, mais la stylistique elle-même.

Les anciens savants musulmans ont abordé le terme de « détournement » à cause de la diversité de ses classifications, glissement,

sortie des traditions; allégorie. Concernant les études modernes, ils optent pour comme déviance, glissement, dysfonctionnement, violation, dépassement, faute, dérogation aux coutumes, abomination, chute, falsification à cause de l'influence des études occidentales sur les novateurs.

La déviance a plusieurs niveaux: acoustique, lexical, structural et morphologique qu'on trouve dans notre recherche en application sur la sourate de la vache pour connaître ses finalités.

شكل العدول الصر في ظاهرة أسلوبية متميزة في القرآن الكريم، وقد حظي بنصيب وافر من الاهتمام، والدراسة من أجل الوقوف على دلالات التحولات على مستوى الصيغ المختلفة، وكشف الأسرار والغايات من وراء العدول عن صيغة إلى أخرى، و الوصول إلى لطيف النكات والمرامي، ودقيق المقاصد التي لا تدرك إلا بكثرة المشق، وإعمال الفكر.

1 - مفهوم العدول لغة واصطلاحاً :

1-1 - المفهوم اللغوي :

إن المتصفح للمعاجم اللغوية يلفي لمادة (ع.د.ل) معاني شتى منها : سَوَى وشَبَّه، قال ابن منظور: « عدل الكافر برَّه عدلاً، وعدولا إذا سَوَى به غيره، فعبدته »⁽¹⁾، وقال : « وفلان يعدل فلاناً أي يساويه، ويقال ما يعدلك عندنا شيء أي ما يقع عندنا شيء موقعك، وعدل الموازين والمكاييل سواها، وعدل الشيء يعدله عدلاً وعادله وأزنه، وعادلت بين الشيئين وعدلت فلاناً بفلان إذا سَوَّيت بينهما »⁽²⁾، وقال صاحب مختار الصحاح: « وعادلت بين الشيئين، وعدلت فلاناً بفلان إذا سَوَّيت بينهما . »⁽³⁾

غير أن هذه الدراسة تهتم بمادة (ع.د.ل) من حيث دلالتها على معنى آخر هو الميل، والانحراف، والحياد عن الأمر، والانصراف عنه إلى غيره، قال ابن منظور: « عدل عن الشيء، يعدل عدلاً وعدولاً حاداً، وعن الطريق جازاً، وعدل إليه عدولاً رجع، وماله معدل ولا معدول أي مصرف . »⁽⁴⁾

وذكر صاحب المعجم الوسيط هذه المعاني وغيرها، يقول (عدل) عدلاً وعدولاً مالاً، ويقال عدل عن الطريق حاداً، وإليه رجع⁽⁵⁾، والباحث في المعاجم العربية يلحظ تعلّق هذه المادة بمعنى الميل والانحراف، والخروج، والحياد.

1-2 - المفهوم الاصطلاحي :

قبل تعريف العدول يجب أن نشير إلى مستويات المعنى في الكلام، حيث ينقسم إلى ثلاثة أقسام، يتعلق أولها بالمستوى النمطي الذي تفرضه القاعدة النحوية، وهذا المستوى

أما المستوى الأخير فهو المستوى المرفوض، والذي يتجاوز فيه مستعمل اللغة المستوى النمطي لغير غاية فنية، ودون وعي وإدراك لهذا التجاوز، يقول عبد الحميد أحمد يوسف هنداوى: «نكون أمام ثلاث مستويات من الاستعمال اللغوي ينتج عنها ثلاثة مستويات من المعنى: الأول: المستوى النمطي النحوي، الثاني: المستوى الفني البلاغي، الثالث: المستوى المرفوض (الخطأ)». ⁽⁶⁾

ويشير عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي إلى أنّه استقى هذه التصنيفات من آراء عبد القاهر الجرجاني، مبينا وصول الشكلاّني تودوروف إلى التصنيف نفسه، وذلك بتقسيمه للغة إلى هذه المستويات نفسها، يقول: «ولعل هذا الذي استوحيناه من كلام عبد القاهر هو ما قصد إليه تودوروف العالم اللغوي الشهير حيث يرى أنّ الاستعمال يُكرّس اللغة في ثلاثة أضرب من الممارسات المستوى النحوي – والمستوى اللانحوي – والمستوى المرفوض، ويرى أنّ المستوى الثاني يمثل أرحية اللغة فيما يسمع الإنسان أن ينصرف فيه .»⁽⁸⁾

ويقول كذلك: «ولا يخرج ريفاتير في تحديد الظاهرة الأسلوبية عن مفهوم الانزياح – وإن حاول الإيماء بغير ذلك – ويُعرّفه بكونه انزياحا عن النمط التعبيري المتواضع عليه، ويدقق مفهوم الانزياح بأنه يكون خرقا للقواعد حيناً، ولجوئاً الى ما ندر من الصيغ حيناً آخر .»⁽¹⁰⁾

ويقول رابح بوحوش: «ومن هذا المنطلق تهتم أسلوبيات العدول اهتماما كبيرا في الخروج عن المعيار، وتعرف البحث الأسلوبي على أنه علم الانحرافات .»⁽¹¹⁾

ويؤكد حسن طبل أن سمة الانحراف صارت ملمحا عاما يُوسم به علم الأسلوب في حد ذاته، فيقول: «في ضوء هذا المنظور كان تعريف علم الأسلوب بأنه انحراف عن قاعدة ما، أو بأنه لحن مبرر، أو هو انحراف عن نموذج آخر من القول يُنظر إليه على أنه نمط معياري، أو مجموع المفارقات التي نلاحظها بين نظام التركيب اللغوي للخطاب الأدبي وغيره من الأنظمة.»⁽¹²⁾

2 - مصطلح العدول بين القدماء و المحدثين :

2-1 - العدول عند اللغويين القدامى :

تناول علماء اللغة العرب ظاهرة العدول ودرسوا وجودها في لغتهم بدءا بالعصر الجاهلي، حيث شاعت في لغة الجاهليين خاصة في الشعر، قال تأبط شرا، وهو من الشعراء الصعاليك :

بأنّي قد لقيت الغول تهوي ❖ بسهب كالصحيفة صحصحان
فاضربها بلا دهش فخرت ❖ صريعا لليديــــن وللجران

فعدل عن الماضي في قوله (لقيت) إلى الاستقبال في قوله (أضربها)، وقد تواتر استعمالها في الشعر الإسلامي نظرا لتأثر الأدب، واللغة بلغة القرآن الكريم الذي وردت فيه ظاهرة العدول، وغيرها من الظواهر البلاغية التي أعجزت الفصحاء، والبلغاء.

وقد تناولوا هذه الظاهرة في مختلف التصنيفات في الفقه، واللغة، والتفسير، وغير ذلك، لكنهم اختلفوا في التسميات، والمصطلحات، فعبروا عن ذلك بمسميات عدة كالعدول، والالتفات، والانزياح، والخروج عن سنن اللغة، والمجاز.

ولعل الذي يبرّر هذا التعدد المصطلحي هو تعدد مجالات التصنيف، والتأليف، فاخص كل علم بمصطلحاته، فنجد المفسرين يستعملون (العدول، والصرف)، قال الطبري: «فيصرف الى المعاني التي صُرف إليها قوله (وتبتل اليه تبتيلا)، وما أشبه ذلك من المصادر المعدولة عن الأفعال التي هي ظاهرة قبلها.»⁽¹³⁾

واستعمل اللغويون والبلاغيون (المجاز، والالتفات)، فقال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ (29) ﴿: «(وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) مجازة: ويقومون الصلاة ومعناه: وأداموا الصلاة لمواقيتها، وحدودها»⁽¹⁴⁾، وأشار الأصمعي إلى الالتفات في حديثه مع أبي إسحاق الموصلي عن بيت جرير:

أتدسى إذ تُودعنا سليبي ❖ بعودٍ بشامة، سُقي البشام

يقول: «أما تراه مُقبلا على شعره إذ التفت إلى البشام فدعا له»⁽¹⁵⁾، أما المشتغلين بفقه اللغة، فيسمّون هذه الظاهرة بأسماء من مثل (أسرار العربية) و(سنن العربية). ومن هؤلاء الدارسين من يستعمل أكثر من مصطلح لهذه الظاهرة اللغوية، فابن الأثير

وسمّ أحد أبواب كتابه «المثل السائر» بالالتفات، وفي هذا الباب أورد مصطلح العدول، يقول في باب الالتفات: «واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أنّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك.»⁽¹⁶⁾

ومصطلح العدول في التراث العربي يأتي لدلالات كثيرة منها العدول عن الحقيقة إلى المجاز، وفي هذا المعنى يقول ابن جني في باب الفرق بين الحقيقة والمجاز: «الحقيقة ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز ما كان بضدّ ذلك، وإنما يقع المجاز ويُعدّل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي: الاتساع والتوكيد والتشبيه، فإن عديم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة.»⁽¹⁷⁾ ويقول ابن الأثير: «وأما القسم الذي يكون العدول فيه عن الحقيقة إلى المجاز لغير مشاركة بين المنقول و المتقول إليه فذلك لا يكون إلا لطلب التوسع في الكلام وهو سبب صالح إذ التوسع في الكلام مطلوب»⁽¹⁸⁾، ومنها كذلك دلالة العدول في الأبنية والصيغ، يقول ابن الأثير: «واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أنّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك.»⁽¹⁹⁾

وممن استعمل العدول للدلالة على ترك طريقة في الكلام إلى طريقة أخرى جريا وراء البلاغة وحسن البيان الجرجاني حيث أورد في باب الحذف قول الشاعر:

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيتہ ❖ عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فقال: «فقياس هذا لو كان على حد: (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) أن يقول: لو شئت بكيت دما، ولكنّه كأنه ترك تلك الطريقة وعدل إلى هذه لأنها أحسن في هذا الكلام خصوصا.»⁽²⁰⁾

كما ذكر العدول في حديثه عن الفصاحة، والتشبيه، والاستعارة يقول: «اعلم أنّ الكلام الفصيح ينقسم قسمين: قسم تُعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ، وقسم يُعزى ذلك فيه إلى النظم، فالقسم الأول: الكناية، والاستعارة، والتمثيل الكائن على الاستعارة، وكلّ ما كان فيه على الجملة مجاز، واتساع، وعدول باللفظ عن الظاهر.»⁽²¹⁾

واستعمل الزمخشري (عدل) بمعنى التحول، وأشار إلى أن هذا يعرف ذلك بمصطلح الالتفات حيث يقول: «فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم..... وذلك على عادة افتتانهم في الكلام وتصرفهم فيه، ولأنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد.»⁽²²⁾

ومن الذين تكلموا عن العدول في مستواه الصرفي جمع من البلاغيين، والمفسرين منهم الألوسي حيث يقول في بيان المقصد من التحوّل في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُفَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (191)

« وكان الظاهر الإتيان بأمر المفاعلة إلا أنه عدل عنه إلى أمر فعل بشارة للمؤمنين بالغلبة عليهم أي هم من الخذلان وعدم النصر بحيث أُرتم بقتلهم . »⁽²³⁾

وسواء سعى القدماء هذه الظاهرة بالعدول، أو الالتفات، أو المجاز، أو الانصراف كما أورده ابن المعتز في كتابة البديع، أو النقل كما ذكر السيوطي في كتابه الإتيان، أو الاعتراض عند الحاتمي، أو سنن العربية كما عند الثعالبي، وابن فارس... فإن هذه المصطلحات في النهاية كانت تحيل إلى تحوّل في الأسلوب، وخروج من طريقة في التعبير إلى طريقة أخرى، لأجل غاية، ونكتة بلاغية.

ونشير إلى أن مصطلح العدول لم يكن معروفا عند اللغويين العرب الأوائل، يقول عوض حمد القوزي: « ولكنّ الذي ينبغي معرفته أنّ أباعمر لم يصرح باصطلاح العدول، ولا باصطلاح الصرف، وما أظنه هو، وعيسى بن عمرو، وابن أبي اسحاق من قبلهما قد عرفوا هذين الاصطلاحين بمعناهما الفني، وإنّ كانوا يعرفون ذلك استعمالاً، وهذا ما يؤكد أن النحو كان معروفاً، ولكنّ المُبتدع هو الاصطلاحات، ولا مشاحة فيها . »⁽²⁴⁾

2 - 2 - العدول عند اللغويين المحدثين :

يُسمّي اللغويون المحدثون ظاهرة العدول بمسميات عديدة كالانتهاك، والتجاوز، والإطاحة، وغير ذلك، يقول عبد الحميد أحمد يوسف هنداي: « هذا العدول قد عبّر عنه في الدراسات الحديثة بمصطلحات عديدة منها الانحراف، والانزياح، والاختلال، والانتهاك، والتجاوز، والمخالفة، واللحن، وخرق السنن، والشناعة، والإطاحة، والتحريف... »⁽²⁵⁾

وهي مصطلحات نشأت من ترجمة المصطلحات الغربية لمفهوم التحول، وقد أورد المسديّ في كشف الدوال المعبرة عن الواقع العرضي، أي عن ظاهرة التحول الأسلوبية مصطلحات كثيرة، وأرجع استعمالها إلى دراسات لغوية غربية، مثل « الانزياح والتجاوز عند فاليري، و الانحراف عند سيبترز، والاختلال عند ولاك، وفاران، والإطاحة عند بايتار، والمخالفة عند تييري، والشناعة عند بارت، والانتهاك عند كوهان، وخرق السنن واللحن عند تودوروف، و العصيان عند أراقون . »⁽²⁶⁾

ونظراً لتأثر الدراسة اللغوية العربية بالدراسات الغربية المختلفة، فقد شاع في العربية أكثر من مصطلح فيما يخص ظاهرة العدول مما يجعل دراستها عسيرة على الدارسين، ولا سيما المبتدئين.

ورغم هذا التعدد مصطلح العدول هو الذي يميل إليه كثير من الدارسين إلى اعتبارات متعددة، منها أنّ مصطلح العدول مصطلح شائع في الدراسات التراثية، يقول عبد السلام المسدي : « وعبارة انزياح ترجمة حرفية للفظة (ECART) على أنّ المفهوم ذاته قد يمكن أن نصطلح عليه بعبارة التجاوز، أو نُحيي له لفظة عربية استعمالها البلاغيون في سياق محدد، وهي عبارة (العدول) وعن طريقة التوليّد المعنوي قد نصطلح بها على مفهوم العبارة الأجنبية . »⁽²⁷⁾

وإذا كان المسدي قد استعمل مصطلح (العدول) لسمته التراثية، فإنَّ عبد الحميد أحمد يوسف هندراوي يضيف إلى هذا الدافع دافعا آخر هو أنَّ هذا المصطلح لا يحيل على معنى الخطأ الذي توجي به مصطلحات أخرى كالانحراف، واللحن... وغيرها، يقول: «وقد اخترت التعبير عن هذه الظاهرة بلفظ العدول لأمرين: أولها: أنَّ هذا التعبير هو اختيار أغلب البلاغيين القدماء كما سبق أن أوردنا، ثانيا: أنه أدق في التعبير عن الظاهرة، ووصفها، ثالثا: أنَّ لفظة الانحراف تشمل إحياءات إضافية قد لا تناسب الظاهرة، ولعل أهم هذه الإحياءات هو إحياء الخطأ، وهو غير وارد في مصطلح العدول .»⁽²⁸⁾ كما يرتبط مصطلح (الانحراف) بالجانب النفسي الأخلاقي أكثر من ارتباطه بالجانب اللغوي، ودلالة الخطأ التي يوجي بها مصطلح (الانحراف) موجودة كذلك في مصطلح اللحن، فقد ارتبط هذا المصطلح بالخطأ في الإعراب نطقا، ومخالفة السليقة العربية خاصة حين اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، ودخل الأعاجم إلى الإسلام، فشاع اللحن، وفسدت السجية العربية ممّا دعا إلى وضع النحو، قال الشاعر:

النحو يُصلح من لسان الأُلكن ❖ والمرء تعرفه إذا لم يلحن

وإضافة إلى معنى الخطأ، فهو يعني كذلك الميل بالكلام ليفطن له بعض الناس ممّن تريد لهم فهمه، ويغيب عن بعض ممّن لا تريد أن يدركوا كنهه، قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى في سورة محمد: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (30): «(في لحن القول) في نحوه، وأسلوبه،... و قيل: اللحن: أن تلحن بكلامك، أي تميله إلى نحوٍ من الأنحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض، والتورية، قال الشاعر:

ولقد لحنتم لكم لكيما تفقهوا ❖ واللحن يعرفه ذوو الألباب

وقيل للمخطئ: لاحن، لأنه يعدل بالكلام عن الصواب .»⁽²⁹⁾

وإذن فمصطلح اللحن ينصرف إلى دلالات كثيرة خاصة منها معنى الخطأ مما لا يجعله بديلا مطروحا لمصطلح العدول، يقول عوض حمد القوزي: «وقد توسّع معنى اللحن حتى أصبح يدل على أكثر من معنى، تضمنتها المعاجم العربية، وقد جمع ابن بري هذه المعاني في قوله: للحن ستة معاني، الخطأ في الإعراب، واللغة، والغناء، والفتنة، والتعريض، والمعنى .»⁽³⁰⁾

ومن المصطلحات التي توافق العدول في المعنى إلا أنها تنصرف أكثر إلى الدلالة على معنى الخطأ مصطلح الغلط، وقد أطلق على خطأ الشاعر في المعنى، و صنفه ابن عبد ربه في باب ما أدرك على الشعراء، يقول: «و ممّا أدرك على لبيد قوله:

ومقام ضيق فرجته ❖ بمقامي ولساني و جدل

لو يقوم الفيل أو فياله ❖ زلّ عن مثل مقامي و زحلّ

فظنّ أنّ الفيال أقوى الناس، كما أنّ الفيل أقوى البهائم ...»⁽³¹⁾

وهناك مصطلح آخر يتسم بكونه مصطلحا تراثيا كمصطلح (العدول) و يدل على ظاهرة التحويل الأسلوبية، وهو مصطلح (الالتفات)، لكنّه يبقى أضيق منه من حيث شمول

المعنى، و اتساع الدلالة، وذلك أنه يقصّر عند كثير من البلاغيين، واللغويين - حتى المُحدثين منهم - على نوع من التحولات الأسلوبية المتعلقة بحالات الكلام من تكلم، وخطاب، وغيبة، فعبد الفتاح لاشين مثلاً يذكر أنّ لالتفات ستّ صوّر مشهورة عند علماء البلاغة، هي التحوّل من التكلم إلى الخطاب، ومن التكلم للغيبة، ومن الخطاب إلى التكلم، ومن الغيبة إلى التكلم، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب .

وهذه المصطلحات التي ذكرناها، والتي استعملت عند القدماء، وكذلك في الدراسات الحديثة للدلالة على العدول من أسلوب إلى آخر لغرض فني، مازالت تتناولها الدراسات اللغوية، و كلّ له حججه في اعتماد مصطلح دون آخر، بل إنّ بعض الدراسيين، يعتمد أكثر من مصطلح من هذه المصطلحات في الدراسة ذاتها، فيعبّر عن العدول بأكثر من مصطلح من المصطلحات الدالة عليه.

ومصطلح العدول في الدراسات الأسلوبية قد وجد موقعه باعتباره مبحثاً من المباحث المميزة لعلم الأسلوب، بل هو الأسلوب ذاته، يقول عبد السلام المسدي: «ويربط والاك، وفاران مفهوم الأسلوب بمجموعة المفارقات التي نلاحظها بين نظام التركيب اللغوي للخطاب الأدبي، وغيره من الأنظمة، وهي مفارقات تنطوي على انحرافات، و مجاذبات بها يحصل الانطباع الجمالي .»⁽³²⁾

وهو قولٌ يشير إلى تميز علم الأسلوب بظاهرة العدول أكثر من الظواهر الأسلوبية الأخرى، كالاختيار، و التكرار إذا نظرنا إليه من جهة النص، ومن خلال هذا الكلام نستنتج أنّ العدول في دراسات علم الأسلوب صار ميزة أسلوبية من ميزات هذا العلم.

غير أنّ الاستقرار في تحديد هذا المبحث افتقرت إليه الدراسات التراثية البلاغية، فظلت ظاهرة العدول تنتقل بين أبواب البلاغة المختلفة، فهناك من نسبها إلى علم البديع، وهناك من ردها إلى علم البيان، وهناك من قال بأنّها من أبواب علم المعاني، يقول حسن طبل: « فنحن حين نتصفّح كتب التراث البلاغي نجد أنّ الالتفات يُنسب تارة إلى علم البيان، وأخرى إلى علم المعاني، و ثالثة إلى علم البديع، وهو لوّ من التّأرجح لم يتعرض لمثله-فيما نعلم- مبحث من مباحث البلاغة، لقد كان أمر هذا التّأرجح هينا يسيرا لدى البلاغيين الذين لم تتمايز عندهم - على نحو حاسم - تلك المصطلحات الثلاثة (المعاني، البيان، البديع)، ولم يتحدد كل منها بميدانه المستقل، ومباحثه الخاصة .»⁽³³⁾

3 - مستويات العدول :

ميّزت الدراسات اللغوية بين عدة مستويات من العدول، منها ما يأتي صوتياً على مستوى وحدات الكلمة، ومنها ما يأتي صرفياً متعلقاً بصيغة الكلمة في صورتها المفردة، و منها ما يمكن العدول فيه خاصاً بالمجال النحوي التركيبي، و يكون العدول كذلك على مستوى الكتابة، و على مستوى الدلالة.

فأمّا العدول الصوتي، فيتعلق بما يطرأ على الحروف العربية من تغيرات على مستوى

المخارج والصفات، كما يُعدّ من العدول الصوتي التنوعات اللهجية و اللثغية و الانحراف السمعي، وكذلك بظواهر تحدث على مستوى كالإدغام و الإبدال ... يقول تامر سلوم: «تغيرات التشكيل الصوتي - كالإدغام و الإبدال - ذات أثر قوي في تفهم العمل الأدبي، و لها دقة خاصة رغم تعقيدها وغموضها»⁽³⁴⁾، فالأصل في الحرف أن يكون له مخرج، و صفات لكنه قد يخرج عن الأصل بسبب تأثره بما جاوره من حروف ذات صفات قوية حيث يتخلل عن صفة من صفاته التمييزية تحت تأثير هذه المجاورة، و مثال ذلك تفخيم اللام حين تجاور حرف إطباق، فتتخلل عن صفتها التمييزية وهي الترفيق مثل الصلاة، الظلام، و من ذلك أيضا أحوال النون الساكنة لأن مخارجها تتنوع حسب ما يجاورها من الحروف.

ويكون العدول تحت تأثير ظواهر صوتية كالإدغام، أو فكّه كما في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (31)، فإن العدول عن (يحب) إلى (يحبب) يضيف زيادة المعنى و تكثيره، و كأن كثرة الحروف تجانس معنى التكثير بإظهار الدال بدل إضمّارها بالشدة، فيكون معنى (الحب) ظاهر في رسم الكلمة كذلك.

ونقول أخيرا أن العدول الصوتي مهم في الدراسة كغيره من المستويات الأخرى، و رغم بساطة وحداته إلا أنها مرتبطة بالسياق، يقول تامر سلوم: «هناك في الحقيقة تفاعل مستمر بين التشكيل الصوتي، و السياق بمعنى أن السياق قد يوسّع مدلول الصوت الأصلي أو يعدّله، وقد يؤدي إلى تغييره أو يوجّه تصورنا له.»⁽³⁵⁾

وقال بكري شيخ أمين في بيان الأداء الصوتي في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (38): «جرب أن تُبدّل المفردة القرآنية، و تحل محلّها (تثاقلتم)، ألا تحسن أن شيئا من الخفة، و السرعة، و النشاط أوحى به (تثاقلتم) بسبب رصف حروفها، و زوال الشدة، و سبق التاء قبل التاء؟ إذن فالبلاغة تتم في استعمال (انتأقلتم) للمعنى المراد، و لا تكون في (تثاقلتم)، و قد يكون العدول على مستوى التركيب، و هو يتميز بالخروج عن القاعدة النحوية إلى المستوى الفني من اللغة، و هذه السمة من البلاغة، و الفنيّة هي ما يبرز هذا الخروج.

و من ذلك الخروج عن النسق الإعرابي كما في قول الله عز وجل في سورة النساء: ﴿لَكِنَّ الرّٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (162) حيث خرجت كلمة (المقيمين) عن النسق الإعرابي لكلمة (المؤمنون) و هو الرفع.

أما العدول الصرفي، فيكون في ذلك التحول الذي يحدث بين الصيغ في السياق، يقول حسن طبل: «يتحقق الالتفات في هذا المجال كلما تخالفت صيغتان (في نسق واحد) من مادة معجمية واحدة من ذلك مثلا المخالفة بين صيغ الأسماء، أو بين صيغة من صيغ الاسم و أخرى، أو ما إلى ذلك مما لا يتمثل في اللغة الفنية عامة، و في لغة القرآن الكريم خاصة إلا

لمرامي، وأسرار بيانية يفتقدها السياق لو لم تكن تلك المخالفة»⁽³⁶⁾، ويقول عبد الحميد أحمد يوسف هنداي: «ويمكن تصنيف الانحرافات طبقاً للمستوى اللغوي الذي يعتمد عليه و بهذا الشكل يتم التمييز بين الانحرافات الخطية و الصوتية، والصرفية، والمعجمية، والنحوية الدلالية .»⁽³⁷⁾

وقد كان من الأحسن التدرج في الحديث عن المستويات من مستوى الحرف إلى الكلمة، فالجملة فالتركيب غير أن تعلق البحث بالعدول الصرفي لأنه موضوع الدراسة.

ولهذا العدول الصيغي الصرفي مقاصد تكون في الصيغة، والسياق ترتقي بالكلام إلى درجة عالية من الإقناع، والقوة، والدقة في التعبير، يقول عبد الحميد أحمد يوسف هنداي: «ومن ثم يصح أن نعتبر السياق هو الأصل أو القاعدة التي تنحرف عنها الصيغة أو تعدل عنها إلى صيغة جديدة خالفت السياق لنكتة، أو غرض بلاغي تطابق به مقتضى الحال، وتتحقق به المعاني الفنية المطابقة التي هي غاية البلاغة.»⁽³⁸⁾

4 - مقاصد العدول الصرفي في سورة البقرة :

4 - 1 - مقاصد العدول عن صيغة (فعل) إلى صيغة (أفعل) :

ومن ذلك قول الله عز وجل في هذه السورة يُذَكِّرُ بني إسرائيل بنعمه عليهم ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ. (49) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50) ﴾، فقد عدل البيان القرآني عن صيغة (فعل) إلى صيغة (أفعل) لغرض أسلوبى، ذلك أنه رغم اشتراك الفعلين (نَجَّى) و(أَنْجَى) في المعنى العام الدال على تخلص الإنسان من المصائب والشُرور إلا أن الصيغة الأولى تزيد بدلالاتها الصيغية على التأكيد والمبالغة وذلك ما يوافق سياق القصة، فقد كابد بنو إسرائيل تعنت فرعون، وقاسوا ظلمه على مدى زمن طويل، وذاقوا على يديه مرارة الاستعباد، وذلّ سبي النساء، وقتل الأطفال كل يوم، فكان بلاء عظيم مستمر متجددا، أمّا مصيبة الغرق فهي واحدة هينة سرعان ما ينقضي ألمها، والعدول بين الصيغتين يلائم انتقال القوم من الشدّيد إلى اليسير، يقول حسن طبل: « فنحن نلاحظ في الآيتين أن التخليص المدلول عليه بفعل التنجية (نَجَّى) في الآية الأولى كان من شرور آل فرعون التي تعدّدت فشملت بني إسرائيل في ذواتهم تعذيبا، وفي أبنائهم تذيبحا، وفي نساءهم استحياء، أمّا التخليص بفعل الإنجاء في الآية الثانية فقد كان فقط من خطر الغرق الذي كانت به نهاية هؤلاء الظالمين .»⁽³⁹⁾

4 - 2 - مقاصد العدول عن صيغة (الماضي) إلى صيغة (المضارع) :

والغرض من هذا العدول إعادة تصوير الحدث الماضي، واستحضاره حتى كأنّ السامع يراه عيانا، قال ابن الأثير: «وذاك لأنّ الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأنّ السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي»⁽⁴⁰⁾، ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ

كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنْفُسُهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102) ﴿١٠٢﴾، فقد عدلت الآية عن فعل الماضي (اتبعوا) إلى الفعل الدال على الحال (تتلو) مع أن الحديث يخص أحداثا مضت لمقصد أسلوبى هو حكاية الحال حتى يجعل الصورة الماضية تتجلى أمام السامع، ويعيشها في حاضره باستحضارها وتجسيدها، وهذا زيادة في التأثير على السامعين، والأخذ بمجامع أحاسيسهم، ومشاعرهم.

وقد ذكر الألوسى هذا المقصد الأسلوبى، وأضاف إليه مقصدا آخر هو الاستمرار، ذلك أن وسوسة الشياطين لبني آدم مستمرة متجددة لا تنقضي بانقضاء الأزمان والأماد، يقول: « وصيغة المضارع لاستحضار الصورة، والدلالة على الاستمرار. »⁽⁴¹⁾

وفي هذا الغرض الأسلوبى نجد آية أخرى هي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَقَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87) ﴾، فكان العدول عن الفعل الماضي (كذبتم) إلى الفعل المضارع (تقتلون) رغم أن التكذيب والقتل وقعا في أزمنة غابرة لكن الغرض هو استحضار صورة القتل وتجسيدها، وتقوية الاحساس بفظاعتها ذلك أن التكذيب هين بالقياس إلى القتل خاصة إذا كان المقتول نبيا مرسلا.

أما القرطبي فعلل العدول في موضع مشابه لهذا في سورة المائدة بمراعاة النهايات والفواصل المتعلقة بما قبلها وما بعدها من الآيات، يقول بشأن قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَقَرِيقًا يَقْتُلُونَ (70) ﴾: « أي كذبوا فريقا وقتلوا فريقا، ... وإنما قال: « يقتلون » لمراعاة رأس الآية. »⁽⁴²⁾

ومن العدول الذي جاء لمقصد التجدد، والاستمرار قوله تعالى: ﴿ قَوْلِ لِلَّذِينَ يُكْتَبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلِ لَهُمْ مِمَّا كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾، فإن كانت كتابتهم المحرفة قد انتهت فس الزمن الماضي، فإن ما يكتسبونه من الوزر بسببها مازال مستمرا بمن ضل بسببهم إلى اليوم من أصلابهم، وممن ارتضى ملتهم.

ومن الآيات التي يظهر فيها هذا المقصد الأسلوبى للعدول قوله تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (212) ﴾، فقد عدل عن الماضي إلى الحال لإفادة أن سخرية الكافرين من المؤمنين متجددة مستمرة غير محدودة بزمن، وقد أشار الزركشي إلى هذا المقصد في معرض حديثه عن قوله تعالى في سورة الحج ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُزِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (25) ﴾ حيث قال: « فيشعر قوله «ويصدون» أنه في كل وقت بصدد ذلك،

ولو قال «وصدوا» لأشعر بانقطاع صدهم .⁽⁴³⁾

4 - 3 - مقاصد العدول عن الفعل إلى حكاية القول :

ويقع بين الأفعال عدول آخر لا يتعلق بالزمن، أو الصيغة الصرفية، وإنما يطال الضرب عن الفعل إلى القول ومن هذا النوع قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (65) ، فعدل عن ذكر الفعل (مسخناهم) إلى حكاية القول (فقلنا لهم كونوا قردة)، والطلب بعد فعل القول هنا ينفي أن يكون العدول من الماضي إلى الأمر لاقتضاء القول للأمر، ولهذا العدول مقصد بديع هو الدلالة على السرعة، واليسر، فدل التعبير بالقول على سرعة حدوث ذلك، وسهولته كالسرعة، والسهولة التي تميز القول عن الفعل، ومثل ذلك يُقال في آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (243).

4 - 4 - مقاصد العدول عن صيغة (الماضي) إلى صيغة (المضارع) :

ومن هذا النوع قول الله عز وجل: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (210) ، قال الرازي في بيان هذا العدول: «قوله (وقضى الأمر) معناه: ويُقضى الأمر، والتقدير: إلا أن يأتيهم الله ويقضى الأمر، فوضع الماضي موضع المستقبل، وهذا كثير في القرآن، وخصوصا في أمور الآخرة، فإن الإخبار عنها يقع كثيرا بالماضي .⁽⁴⁴⁾»

وفي هذا العدول تنويع، وإبداع فني بليغ يجعل ما سوف يحدث في المستقبل بمنزلة الماضي الذي حدث وانقضى، فحتمية وقوعه في المستقبل مساوية لسالف الحوادث، ومُتحقق الوقائع، قال القزويني: «ومنه التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي تنبيها على تحقق وقوعه، وأن ما هو للوقوع كالواقع»⁽⁴⁵⁾، ويكون هذا العدول للدلالة على سياق غير مألوف، قال ابن الأثير: «وفائدته أن الفعل الماضي إذا أُخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ وأؤكد في تحقيق الفعل وإيجاده لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد، وإنما يُفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يُستعظم وجودها .⁽⁴⁶⁾»

ومن مقاصد العدول عن الحال إلى الماضي استحباب حصول الفعل كما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَالَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (215) فقد عدل عن المضارع (ينفقون) إلى الماضي (أنفقتم) للدلالة على الترغيب في الفعل، وإبداء استحبابه، قال ابن عاشور: «(وما أنفقتم) شرط، ففعل (أنفقتم) مراد به الاستقبال، كما هو مقتضى الشرط، وعبر بالماضي لإظهار الرغبة في حصول الشرط، فينزل كالحاصل المتقرر»⁽⁴⁷⁾. ومن هذا الباب أيضا قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ

فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160) ﴿ حيث عدل عن صيغة المضارع (يتوبون) إلى صيغة الماضي (تابوا)، والذي دلّ عليه السياق من خلال القرينة اللفظية (يكتمون) دلالة على الترغيب والاستحباب.

4 - 5 - العدول من المصدر إلى اسم المصدر :

ومن مقاصد العدول التوسع في المعنى، كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245)﴾، فاستعمل للفعل اسم المصدر لا مصدر الفعل حملا على سعة المعنى، قال فاضل صالح السامرائي: «فقد يُراد به ما يُقرض فيكون مفعولا به، وقد يُراد به إقراضا حسنا، فيكون مفعولا مطلقا، وقد كسب المعنيين في هذا التعبير .»⁽⁴⁸⁾

4 - 6 - مقاصد العدول عن صيغة المفرد إلى صيغة الجمع :

ويكون العدول من المفرد إلى الجمع، ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (257)﴾، فعدل عن المفرد (الظلمة) إلى الجمع (الظلمات) مع أنّ القرينة (النور) تقتضي إيراد المفرد، والمقصد هو التأكيد وملاءمة المعنى، فإفراد النور تأكيداً لوحداية الله، ودلالة على قلّة السائرين في درب الحق، وجمع الظلمات تأكيداً لتعدد طرق الغي، ودلالة على كثرة الواغلين فيه، وكلّ صيغة تلائم المعنى الذي تدل عليه، قال الألوسي: «وأفرد النور لوحدة الحق، كما أنّ جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال، أو أنّ الأول إيماءً إلى القلة، والثاني إيماءً إلى الكثرة .»⁽⁴⁹⁾

4 - 7 - مقاصد العدول عن صيغة فعل إلى صيغة اسم :

وقد يقع العدول عن صيغة فعل إلى صيغة اسم، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145)﴾، فقد نفى اتباع أهل الكتاب لقبلة المسلمين بالفعل المنفي (ما تبعوا)، ثم عدل عن ذلك بنفي اتباع النبي صلى الله عليه وسلم لقبلتهم باسم الفاعل المنفي (ما أنت بتابع)، والمقصد من هذا الدلالة على التأكيد والثبوت، قال عبد الحميد أحمد يوسف هنداي: «الإخبار باسم الفاعل في هذه الجملة أدى إلى تكرار الاسم فيها مما زادها تأكيداً ومبالغة في النفي المؤكد بالباء»⁽⁵⁰⁾، وقال الكفوي: «اشتهر عند أهل البيان أنّ الاسم يدلّ على الثبوت، والاستمرار، والفعل يدلّ على التجدد والحدوث .»⁽⁵¹⁾

هذه بعض مقاصد العدول في سورة البقرة، ويبقى للمتدبرين في كتاب الله، الغائصين في أسرار إعجازه، و غايات الخروج على النسق فيه مجال خصب للدراسة، والبحث.

العوامــــــــــــــــش :

- (1) ابن منظور، لسان العرب، ج11، دار صادر، بيروت، ط1، د.ت، ص : 430.
- (2) المصدر نفسه، ص : 430.
- (3) الرازي، مختار الصحاح، تج: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، د.ط، 1995، ص : 467.
- (4) ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص : 430.
- (5) عبد العزيز النجار وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق، مصر، ط.4، 2004، ص : 588.
- (6) عبد الحميد أحمد يوسف هنداي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 2002، ص : 72.
- (7) المصدر نفسه، ص : 72.
- (8) المصدر نفسه، ص : 72.
- (9) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية، تونس، ط.3، 1982، ص : 102.
- (10) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص : 102.
- (11) رابع بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، د.ط، د.ت، ص : 42.
- (12) حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1998، ص : 40.
- (13) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تج: أحمد محمد شاكر، ج5، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000، ص : 534.
- (14) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، تج: محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، 1988، ص : 155.
- (15) ابن رشيق، العمدة، عبد الحميد أحمد يوسف هنداي، المكتبة العصرية، بيروت، ط.1، 2001، ص : 58.
- (16) ابن الأثير، المثل السائر، تج: محمد مكي الدين عبد الحميد، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، 1995، ص : 12.
- (17) ابن جني، الخصائص، ج3، تج: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ص : 442.
- (18) ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص : 348.
- (19) المصدر نفسه، ج2، ص : 12.
- (20) الجرجاني، دلائل الإعجاز، تج: د. محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995، ص : 134.
- (21) دلائل الإعجاز، ص : 315.
- (22) الزمخشري، الكشاف، تج: محمد مرسي عامر، ج1، دار المصحف، القاهرة، ط2، 1977، ص15.
- (23) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ص : 75-76.
- (24) عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1983، ص : 71.

- (25) عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص : 142.
- (26) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص : 101-100.
- (27) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص : 162-163.
- (28) عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص : 72.
- (29) الزمخشري، الكشاف، ج 5، ص : 267.
- (30) عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي، ، ص : 14.
- (31) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 5، تح: أحمد أمين وآخرون، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، 1983، ص : 360.
- (32) انظر: عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء القرآن، دار المعارف، مصر، ط 1، 1976، ص : 218-219.
- (33) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص : 102.
- (34) حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص : 27.
- (35) تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار، سوريا، ط 1، 1983، ص : 54.
- (36) المصدر نفسه، ص : 45.
- (37) حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص : 56.
- (38) عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص : 72.
- (39) عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص : 158-159.
- (40) حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص : 67.
- (41) ابن الأثير، المثل السائر، ج 2، ص : 12.
- (42) الألوسي، روح المعاني، ج 21، ص : 157.
- (43) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 6، تح: أحمد عبد العليم البردوني، دار الكتاب العربي، ط 2، 1952، ص : 247.
- (44) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 3، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1391هـ، ص : 336، 337.
- (45) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج 5، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1981، ص : 235.
- (46) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط 4، 1998، ص : 77.
- (47) ابن الأثير، المثل السائر، ج 2، ص : 15.
- (48) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 2، الدار التونسية للنشر، د.ط، 1984، ص : 318.
- (49) فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج 2، شركة العاتك، القاهرة، ط 2، 2003، ص : 140.
- (50) الألوسي، روح المعاني، ج 3، ص : 14.
- (51) عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 2002، ص : 170.